

تحديات الخطاب الديني المعاصر: دراسة في ظاهرتي الإلحاد والتكفير
(خطط المواجهة وسبل العلاج)

The Challenges of Contemporary Religious Discourse: A Study of the
Phenomena of Atheism and Excommunication
(Apprehension Plans and Treatment Methods)

د/ علي بن العجمي العشي¹

Ali Ben Al-Ajmi EUCHI

كلية الشريعة - جامعة قطر

aeuchi@qu.edu.qa

د/ سعاد الرياحي

Souad RIAHI

جامعة الزيتونة بتونس

Riahi580@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2024/01/04 تاريخ القبول: 2024/06/29

المخلص:

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى بيان المقصود "بمعضلات الخطاب الديني المعاصر" وتبحث في دوافعها وأسبابها ومسبباتها من خلال عرض أهم هذه التحديات المعاصرة المتمثلة في "ظاهرتي الإلحاد والتكفير" للنظر والتحليل والنقد.

المنهجية: اعتمدنا على المنهج الاستقرائي من خلال استقراء النصوص، والوصفي والتحليلي النقدي، أو بعبارة أخرى المنهج التكاملي، للوعي بأهم كبوات الخطاب الديني في تناوله لظاهرتي الإلحاد والتكفير. أهم نتائج البحث:

- التعرف على واقع الخطاب الديني الإسلامي وتحدياته التي تُشكلُ مُعضلة ومأزقاً منهجياً لتجديده، ومن أهمها ظاهرتي الإلحاد والتكفير لما لهما من علاقة جدلية مُزدوجة تُشكلُ ثقلًا كبيراً على الفكر الإسلامي من ناحية فهمه وتقبله والدعوة له وتطويره.

- إنَّ مُواكبة هذه التحديات والتصدي لها رهين بعملية تجديد الخطاب الديني ومدى تأقلمه وملاءمته للواقع، واستجابته لرهانات عصره، وانفتاح آفاقه، وتطور آلياته وأساليبه في التعبير عن موضوعاته، وإيجاد الحلول لها.

أصالة البحث: البحث أصيل في بابهِ، وهو دراسة جادة في محاولة تفكيك ظاهرتين تشكلان تحدياً كبيراً أمام الخطاب الديني المعاصر، مع السعي لاجتراح الحلول الممكنة من خلال خطة يمكن انتهاجها لمعالجة هاتين الظاهرتين.

الكلمات المفتاحية: الإسلام؛ التحديات؛ الخطاب الديني؛ الإلحاد؛ التكفير.

¹ - المرسل المؤلف.

Abstract:

This paper investigates “the dilemmas of contemporary religious discourse”, their motivations, causes, and consequences through the key contemporary challenges represented in “the phenomena of atheism and excommunication (takfir)”.

The inductive, descriptive and critical analytical approaches will be implemented in order to identify the most important setbacks of religious discourse in dealing with these phenomena. This paper identifies the status of Islamic religious discourse and the challenges that constitute a dilemma and a methodological impasse for its renewal, mainly the phenomena of atheism and excommunication. That is imputable to their dual dialectical relationship that constitutes a great weight on Islamic thought, impacting its understanding, acceptance and development.

Keeping up with these challenges and confronting them depends on the process of renewing religious discourse and the extent of its adaptation and suitability to reality, its response to the challenges of its time, the openness of its horizons, and the development of its mechanisms and methods for expressing its topics and finding solutions for them. This paper is a serious attempt to dismantle two phenomena that pose a major challenge to contemporary religious discourse, while seeking to propose possible solutions through a clear plan that can be followed in addressing them.

Keywords: Islam; Challenges; Religious Discourse; Atheism; Takfir.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

الإطار العام للبحث:

جاء الإسلام رسالة عالمية لهداية الناس وتخليصهم من التريفة الفاسدة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن طريق الانحراف إلى سبيل الرشاد، الذي يعدّ سبيل الكمال والهدى والحق، ومن اتبع غيره سبيلاً ضلّ وباء بخسرانٍ كبير، ولقد أسهم الخطاب الديني في إظهار هذا السبيل من خلال الدعوة والإرشاد والتصحيح على مرّ الأزمان، ليحفظ بذلك للدين نقاء وديمومته، ويواكب التحديات المستجدة من خلال اتباع منهجي الاستقرار والاستنباط لنصوص الوحي وتأويلها تأويلاً يتوافق ومقتضيات الواقع.

ولكن يلحظ المتأمل في المجتمع الإسلامي تصدّعاً في مستوى خطابه الديني، بسبب غياب المنهج وتذبذب ضوابطه، وتشتت موضوعاته ومواقفه، في ظلّ تنامي تيارات وإيديولوجيات مناهضة لمجتهوداته. وهو ما شكّل مأزقاً عويصاً في بنية الخطاب الديني المعاصر وفي مواكبة التحديات الفكرية والدينية الراهنة التي ألقت بظلالها على المجتمعات المسلمة.

كذلك يواجه الخطاب الإسلامي المعاصر تحديات مستجدة تحتمّ عليه إعادة النظر في أساليبه ومقاصد خطابه ليعالج بذلك نوازل الواقع ويحافظ على صورة الدين الإسلامي الحنيف، ولعل من أبرز تحدياته اليوم ظاهرتي الإلحاد والتكفير، إذ ثمة علاقة جدلية تجمعهما وتزيد من صعوبة معالجتهما في ظلّ واقع مأزوم تفتك به العديد من الآفات العقديّة التي تُعمق غربة العبد عن ربّه وعن دينه وتجعله فريسة سهلة أمامها، الأمر الذي يلزم معه مراجعة أساليبه وآلياته لتتناول مثل هذه المسائل وتحصين الفرد المسلم من خلال خطاب يجيب عن تساؤلاته، ويعينه على الانخراط في واقعه المستجد.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم ظاهرتين تشكلان تحدياً راهناً للخطاب الإسلامي المعاصر وهما ظاهرتا الإلحاد والتكفير، وبيان حساسية هذه الإشكالية لما لهما من علاقة مزدوجة تُحتم على المنشغلين بالخطاب الديني ضرورة تناول كلّ مسألة منهما بعناية خاصة حتى لا يفضي الإلحاد إلى التكفير، ولا يؤدي هذا الأخير إلى الإلحاد وعندها نجد أنفسنا أمام مضاعفات تزيد المشكلة الأساسية سلبية وتعمق من مضاعفاتها.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا البحث في هذه النقاط:

1. التنصيص على ضرورة مراجعة الخطاب الإسلامي لأساليبه وطريقة تناوله للمسائل المستجدة والحساسة التي قد تفضي إلى الخروج من الملة الإسلامية، ونبذ الدين، والانحراف عن جادة الطريق المُستقيم.
2. التأسيس لرؤية استباقية تُحصن الأفراد من هذه الآفات وتنتشلهم من واقع التغريب وطمس الهوية الحضارية.
3. ضرورة العمل على تجديد منهج الخطاب الديني وآلياته في معالجة المستجدات واقتراح مقاربات لعلاج ظاهرتي التكفير والإلحاد في ضوء خطاب وسطي ومتجدد وفق متغيرات العصر.

إشكالية البحث:

إذا كان الخطاب الديني قد مثّل طريق الدعوة والإرشاد والإصلاح في الإسلام، فإننا اليوم في أمس الحاجة إليه أمام التحديات الجديدة المغايرة لما عرفه الخطاب الإسلامي منذ البعثة وإلى يومنا هذا، فما تحديات الخطاب الديني؟ وهل يمكن عدّ ظاهرتي الإلحاد والتكفير من أبرز تحدياته الراهنة؟ وهل يقتصر الأمر على تجديد الخطاب الديني فحسب أم أنّ الأمر يتعدى ذلك إلى وضع خطة وقاية ومعالجة لحلّ مثل هذه الظواهر؟ تعالج هذه الدراسة إشكالية تحديات الخطاب الديني من خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مقومات الخطاب الديني المعاصر؟
- هل يرتقي هذا الخطاب لحلّ المشكلات المعاصرة والمستجدة أم يحتاج إلى التجديد والواقعية (التنزيل من الميتافيزيقي إلى الفيزيقي)؟
- كيف تناول الخطاب الديني مسألتَي الإلحاد والتكفير؟
- كيف نقيّم جهوده في ظل التحولات التي تشهدها بنية المجتمع المسلم؟
- ما أهم الحلول لمعالجة هاتين الظاهرتين في ظل مجتمع شبابي عاطفي واندفاعي؟

منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على كلّ من المنهج الاستقرائي والتحليلي من خلال التعريف بالخطاب الديني ووصف واقعه وتحليله، والتعريف بمصطلحي الإلحاد والتكفير وذكر أنواعهما، وبحث نوع العلاقة بين هاتين الظاهرتين من خلال اتباع المنهج التحليلي، وعرض أهم ملامحهما ومحاولة تحليلها ومعالجتها قصد الدّفع بمنهج الخطاب الديني المعاصر لمراجعة أدواته ووسائله، وتناول النوازل الفكرية الدينية والاجتماعية بروح جدية وتجديدية في الآن ذاته.

خطة البحث:

يأتي هذا البحث في ثلاثة مباحث يُكْمَلُ بعضها بعضاً مع مقدمة تُؤطر المسألة، وخاتمة تحتوي على أهم النتائج وأبرز التوصيات.

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي للمصطلحات

المطلب الأول: الخطاب الديني وواقعه

"الخطاب الديني" هو مركب نعني مُكوّن من نعتٍ ومنعوتٍ حيث نُعت الخطاب بكونه دينياً، والخطاب في اللغة هو مصدرٌ من خاطب يُخاطبُ خطاباً، ومُخاطبةٌ وهو يعني الكلام بين اثنين، والخطاب هو مُراجعة الكلام¹.

والذي نقصده هنا "بالخطاب الديني" اصطلاحاً هو الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من المصادر التأسيسية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة، و سائر المصادر الإسلامية الأخرى سواء أكان مُنتج الخطاب جماعة إسلامية، أم مؤسسة دعوية رسمية أو أهلية، أم أفراداً مُتفرقين جمعهم الاستناد إلى الدين وأصوله مرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم، ولإدارة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يحيونها أو للتفاعل مع دوائر الهويات القطرية أو الأممية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها².

ولذا فهو عبارة عن الأفكار والمعتقدات التي تتسم وتتصف بأهميتها الاجتماعية التي تنبع من ارتباطها بدين سماوي، ومن تأثيرها في إيجاد تصور ناتج عن مُتلقى هذا الخطاب من المؤمنين بهذا الدين عن العالم الذي يعيشون فيه، ومن ثم فهو يُحدد كيفية تصرفاتهم وتعاملهم إزاءه³.

وهنا يمكن القول إنّ هذا الخطاب الديني مُنبثق من الإسلام (قرآناً وسنةً) إلا أنه لا يُمثل خطاب الإسلام ممثلاً بنصوص الوحي، وإنّما هو خطاب (الإسلاميين) في التعبير وقراءة الرسالة التي يُوجهونها للآخرين في شأن من الشؤون. وهو ما يعني أنّ الخطاب الإسلامي في أصوله وأُسسه ومصادره لا يتغير، وإنّما الذي يتغير فيه هو القراءات له وأسلوب طرحه على المُتلقين⁴.

وهنا يمكن أن نُشير إلى أنّ مُصطلح الخطاب الديني من التعبيرات الحديثة في مجال العلوم الاجتماعية عامةً واللغويات الاجتماعية خاصة، وأشار بعض الباحثين إلى كونه مُصطلحاً جديداً ذاع في العصر الحديث عند شيوع الرؤى التجديدية في الفكر الإسلامي وانتشارها، ولذا ليس له مرجعية شرعية في الإسلام كباقي المُصطلحات الأخرى مثل: "الخلافة"، "الإمامة"، "الخِراج"، "الخ"، وعلى هذا الأساس نجدُ بعض المُحاولات لضبط معناه من قبل بعض المُفكرين والباحثين والدعاة كلٌ بحسب اختصاصه ومن منطلق معارفه ومجال بحثه وفهمه، فتباينت بذلك معاني هذا المُصطلح وتنوعت، وتلبست مقاصده بإيديولوجيات واتجاهات أُلقت بظلالها على دلالاته، وابتعدت به عن المفهوم العلمي الدقيق⁵، الذي يعني قراءات ومراجعات النصوص الدينية على شكل خطاب مُوجه لعامة الناس يستند إلى فقه الواقع وإيجاد أجوبة لنوازله خدمةً للدين وللناس وفق ضوابط منهجية تُقيّد انحرافه عن مقصد الشارع⁶، ولكن ما واقع الخطاب الديني المُعاصر؟ وما أبرز سماته؟

إنّ المُتأمل في الفكر الإسلامي المُعاصر يمكنه ملاحظة بعض اتجاهات الحدة في الخطاب الديني، ووقوعه في عدّة إشكالات من بينها النمطية والجمود والتعصب، ويمكن القول إنّ الخطاب الديني المُعاصر يُمكنه تصحيح هذه الصورة السلبية وهو ليس بعاجز عن ذلك، إنّما هناك نوع من الطاقة المشحونة بالصراع والضعف وتمزّق المجتمعات الإسلامية هو الذي أسهم في تشويه هذا الخطاب وعمل على تعطيل أهدافه، وإرهاص رهاناته وجهوده الإحيائية والتجديدية، ولذا يمكن الإشارة إلى أربعة عوامل مؤثرة مباشرة في فاعلية الخطاب الديني الإسلامي المُعاصر وتتلخص كما حددها أحد الباحثين في:

أولاً: الضعف العام للخطاب الديني، إذ إن مضمونه هشّ لطغيان الجهل الديني، أو ما يصطلح عليه بالأميّة الدينيّة، في حين أنّ جلّ تحديات الخطاب الديني الإسلامي تشترط المعرفة والعلم والقدرة على الاجتهاد والتجديد القائم على متغيرات العصر المعرفيّة والعلميّة.

ثانياً: ارتجاليّة الخطاب الديني تزيد من هوانه وضعفه لمواجهة تحديات العصر، إذ إنّ الارتجال والعفويّة في تناول المسائل المعاصرة، دون إخضاعها للدراسة والتدقيق المتخصص، والاعتماد على الاجتهاد الفردي وعدم التشاور شكل مأزقاً آخر للخطاب الديني.

ثالثاً: هناك نوع من الجمود الفكري وضيق الأفق ومحدوديّة الرؤية الاستشرافيّة للخطاب الديني المعاصر، وهذا عائد لقصور الاجتهاد الديني في المسائل اللحظيّة دون التطلع إلى تداعياتها في المستقبل، ولذا يمكن اعتبار جهود الخطاب الديني المعاصر عبارة عن ردود فعل لا ترقى لمعالجة المسائل المستجدة.

رابعاً: انعكاس التجاذبات والخلافات المذهبيّة الفكريّة والعقدية والسياسيّة على نمط الخطاب الديني، وهو ما يجعله خطاباً مُشتتاً، ومُتعارضاً، متعدد الرؤى (بمعناه السلبي)، ومفتقداً للترابط والانسجام والتوافق للصالح الديني المجتمعي.⁷

والمأمل في واقعنا اليوم يمكنه أن يلاحظ ما لحق شبابنا من ضياع وتمييع وخروج عن الطريق المستقيم في مراحل كثيرة، كما أنّهم حملوا الأمانة فوق حملها أعباءهم، وذلك بما وقعوا فيه من فحاح وضعف لهم، وأخطاء كبيرة وقعوا فيها، وفتن مظلمة سقطوا فيها وهو ما ترك أثراً سلبية عليهم وعلى الدعوة وعلى أمتهم، وربما يعود ما لحق هؤلاء الشباب من فتنة وتظليل إلى قصور المجهودات الدعويّة وندرة العلماء الراسخين وغياب الجانب التوعوي والتربوي المحيط بتنشئتهم واحتوائهم⁸، الأمر الذي انتهى ببروز عدة ظواهر فكريّة ودينيّة نذكر منها اثنين: **أولاً:** يظهر من خلال ظاهرة الإلحاد والثاني: الغلو وقد يظهر ذلك من خلال نموذج التكفير، فما المقصود بالإلحاد وما أبرز أنواعه؟

المطلب الثاني: مفهوم الإلحاد وأنواعه

الإلحاد في اللغة هو من لحد وألحد بمعنى مال، وعدل ومارى وجادل، وفي الحرم ترك القصد فيما أمر به، وأشرك بالله أو ظلم، ولحد الرجل في الدين، وألحد إلحاداً بمعنى طعن وشكّ في الدين ويقال لحد وألحد في الدين أي حاد عنه⁹، ولذا يمكن القول إنّ الإلحاد لغةً يعني الميل عن القصد والغدول عن الشيء، وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع¹⁰، وتضمنت معنى الغدول والميل والتكذيب والذنب. أمّا في الاصطلاح فقد جاء في القاموس الفلسفي أنّه: "مذهب من يُنكرون الألوهية، والمُلحد غير مؤله، وهذا معنى شائع في تاريخ الفكر الإنساني"¹¹، واشتقت التسمية من الكلمة الإغريقيّة **Athios** التي تعني بدون إله أو لا إله¹²، ولذا فإنّ الإلحاد يعني عدم الاعتقاد بوجود إله، وهو مناقض لفكرة الإيمان بالله والألوهيّة¹³.

وقد تبلور مصطلح الإلحاد عقب انتشار الفكر الحرّ ونشأة الشكوكيّة العلميّة وتنامي نشاط التيارات الفكرية الناقدة للأديان، ولذا فإنّ من ذهبوا إلى عدم الاعتقاد بوجود إله أطلقوا على أنفسهم لقب "ملحد" خلال عصر التنوير توافقاً مع النهضة العلميّة نهاية القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر حيث ضعفت الكنيسة وتعلّلت أصوات تنادي بوفاة الدين والخالق، وتزامنت هذه الأفكار مع أبحاث داروين المناقضة لنظرية نشوء الكون كما جاءت في الكتاب المقدس، وهكذا أخذت أفكار هؤلاء المتنورين منحى النفور من الدين والتشكيك في وجود الخالق لتناقض العقل مع تعاليم الكنيسة¹⁴.

كذلك شهدت الثورة الفرنسيّة أول حركة سياسيّة كبرى في التاريخ مُدافعة عن سيادة العقل، وقد رافق هذه الحركة تيار من الإلحاد لم يسبق له مثيل¹⁵، ولكن ما أهم أنواعه؟ يمكن أن نحدد للإلحاد ثلاثة أشكال أو أنواع وهي:

أولاً: الإلحاد الكلي أو المطلق الذي يرى عدم وجود خالق وإله للإيمان به.

ثانياً: اللادريّة وهم الذين يقولون لا ندري هل يوجد خالق أم لا¹⁶ وهي رؤية مبنية على التشكك في وجود خالق للكون. وهناك من يرى أنّ الإلحاد له ضروب مختلفة يمكن تصنيفها حسب طبيعة الحجج التي يتبناها المُلحد، ولذا قد نجد أنواع الإلحاد حسب القوّة والضعف، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام: إلحاد قوي، وإلحاد جزئي وإلحاد إنكاري، أو يمكن تحديد أنواعه حسب زمنه، وهو أيضاً يأتي في ثلاثة ضروب، وهي الإلحاد القديم، والإلحاد المادي الحديث، والإلحاد الجديد.

وهناك تقسيم آخر مبني على ارتباط الإلحاد بالشهوات، وقد حصره أحد الباحثين في سبعة أشكال وهي إلحاد الترف (أو الشهوات) وسببه البحث عن الملذات واتباع الأهواء، وقد يتشابه مع الإلحاد البراغماتي القائم على المنفعة، وهناك نوع آخر هو إلحاد الهاربين من الدين، وهناك كذلك إلحاد لامبالي، وإلحاد كاذب أو رافض لفكرة وجود الله، وهناك إلحاد خائف من تدخل الله في حياته، وإلحاد أدبي مبني على أفكار بعض الأدباء للتهرب من القيم الأخلاقية بناء على مبدأ الحرية العقلية والفعلية، وهناك الإلحاد الشيوعي*، والإلحاد الارتزاقى وهم طائفة من الملاحدة الذين يرون الكفر والإلحاد مطية لأهداف دنيوية.

وهناك أيضاً تصنيف آخر مبني على الشبهات وهو متعدد الأنواع وهي الإلحاد الضمني، والإلحاد الصريح، والإلحاد الإنساني، والعلمي، والدارويني، والفلسفي، والأنثروبولوجي، والاجتماعي، والمتسامح، والمتعصب، والإلحاد المناصر لله، والإلحاد المعادي لله، والإلحاد الباحث عن اليقين.

وهناك من صنّف أنواع الإلحاد وفق البعد النفسي فقرر للإلحاد سبعة أنواع وهي الإلحاد العاطفي القائم على الانفعالية كما يسمى إلحاد الأزيمة أو إلحاد اليأس، وإلحاد الندية حيث يجعل المُلحد نفسه نداً للإله، والإلحاد المتكبر وفيه نوع من التعالي على الكون والخالق وكل شيء، والإلحاد العابر، والإلحاد الكيدي (الانتقامي)، والإلحاد الاستعراضي، والإلحاد النسوي ذلك أنّ ظلم المجتمع وقسوته عمل على توليد شعور بالمظلومية دفع العديد من النساء إلى كسر كل القيود ومن بينها قيود الدين والتدين والاعتقاد¹⁷.

المطلب الثالث: مفهوم التكفير وأنواعه

الكُفر في اللغة بمعنى الستر والتغطية، ومنه قيل لليل كافر لأنّه ستر بظلمته كل شيء وغطاه. ويقال للمزارع "كافراً" لأنّه يغطي البذر بالتراب، ومنه سُمّي الكُفر الذي هو ضدّ الإيمان، ولأنّ في كُفره تغطية للحق بالجحود والنكران لنعم الله تعالى، وقيل سُمّي الكافر كافراً لأنّه قد غطى قلبه بالكُفر¹⁸ والتكفير مصدر للكفر. وفي الاصطلاح الكفر هو جحود الوجدانية أو الشريعة أو النبوة¹⁹ أمّا التكفير فهو: "حكم شرعي سببه جُحود الربوبية والرسالة، أو قول أو فعل حَكَمَ الشارع بأنّه كُفر، وإن لم يكن صاحبه جاحداً²⁰ فما أشكال الكُفر؟

وللكفر أنواع يختلف معها وبها نوع التكفير وهي:

أولاً: الكفر الأكبر: مخرج من الملة، ويسميه بعضهم الكفر القلبي أو العقدي، وهو استحلال أو ردّ أو استهزاء، أو إنكار أو استكبار أو جحود، أو تكذيب لأي أمر علّم أن رسول الله ﷺ جاء به من عند ربه من كتاب أو سنة صحيحة، سواء كان ذلك في العقيدة أو العبادة، أو الشريعة، أو المعاملات، ويعبر عنه أحياناً بالمعلوم من الدين بالضرورة.

أمّا النوع الثاني فهو الكفر الأصغر: وصاحبه لا يخرج من الملة، وهو الذي يسميه بعضهم (الكفر العملي) وهو اصطلاح في مقابل الكفر العقدي، والمقصود به: العمل الذي وصفته النصوص بالكفر، ولكنه صدر من غير رضى القلب به²¹، ويمكن أن نضيف لهذين النوعين نوعاً ثالثاً وهو الكُفر بعد الإيمان أو ما يُسمى الردّة وهي الرجوع عن الإسلام بنية أو قول كفر أو فعله، سواء أكان باستهزاء أم بعناد أم باعتقاد²²

ولذا فقد فرّق أهل السنة والجماعة بين التكفير المطلق وتكفير المعين*، إذ إنّ النوع الأوّل يطلق على صاحبه الذي تلبس بالكُفر - فيقال من قال كذا أو فعل كذا وهو لا يستلزم تكفير المعين، لأنّ تكفيره موقوف على شروط وانتفاء موانع، أمّا النوع الثاني فلا يطلق على صاحبه صفة الكفر حتى تجتمع فيه الشروط، وتتفي عنه الموانع وتقوم عليه الحُجة التي يكفر تاركها²³. لذا يمكن القول إنّ الحديث عن مسألة التكفير هو حديث مشكّل وحساس؛ لأنّه يقع بين حدين خطيرين أوّلهما الغلو؛ وهو الإفراط في إلقاء صفة الكفر على من يستحق وعلى من لا يستحق دون مراعاة للضوابط التكفير وأسسه، وهذا النوع منهى عنه لقوله ﷺ: "ومن قذف مؤمناً بكُفر فهو كقتله"²⁴، وفي تشبيه الرسول للمكفر بالقاتل دلالة على شدة هذا الذنب وخطورته. ولهذا نهى العلماء عن رمي العباد بالكفر جزافاً، واشترطوا لذلك أن يكون ببرهان واضح وضوح الشمس وأن يكون قد خالف الله ورسوله²⁵، وأول المكفرين هم الوعيديّة من الخوارج والمعتزلة²⁶. والحدّ الثاني هو الإرجاء وهو عدم الحكم بالكفر وإرجاء الحكم لله عزّ وجلّ، إذ عارض المرجنة بذلك الوعيديّة بنصوص الوعد، فقالوا: نصوص الوعد لا تتناول إلّا مؤمناً، ومن ثمّ لا يمكن تكفير صنّاع الكبائر ما دام في قلبهم إيمان²⁷. وعليه يمكن القول: إنّ التكفير يجب أن يكون ببينة وعلى حقّ وأن يتخذ بين هذين الحدين سبيلاً، ويكون عادلاً معتدلاً وفق الكتاب والسنة وانتفاء موانع تكفيره. وذلك بناءً على التفصيل والتفريق بين أهل البدع؛ لأنهم ليسوا على درجة واحدة؛ إذ منهم من ثبت في حقه الكُفر بتوفر الشروط وانتفاء الموانع، ومنهم من لا يُحكم بكُفره لانتفاء ذلك في حقه²⁸. ويمكن أن نشير هنا إلى أنّ ظاهرتي الإلحاد والتكفير من أهمّ التحديات للخطاب الديني المعاصر، ولعل ذلك عائد بالضرورة إلى ضحالة الواقع وضعف الخطاب الديني في احتوائهما. فما علاقة الإلحاد والتكفير بالفكر الإسلامي المعاصر؟ وما تأثيراتهما في الخطاب الديني؟

المبحث الثاني: تحديات الخطاب الديني المعاصر في مواجهة ظاهرتي الإلحاد والتكفير

إنّ الناظر لواقعنا الإسلامي يمكنه أن يرى عمق المشاكل والقضايا التي تكتنفه وتحيط بجميع مجالاته الحياتية، وتمثل بذلك تحديات راهنة يجب الإحاطة بها لمواجهتها في الوقت الصحيح وتفاذي تأثيراتها السلبية المحتملة، ولعل هذا الواقع المتردي يمثل تحدياً كبيراً للخطاب الديني الإسلامي الذي يحمل على عاتقه مهمة توعية الأمة وتقوية عزائمها وتحديد منهجها وتثبيت أسسها ومبادئها لفهم الحياة ومواكبة تطورات العالم، إلّا أن المؤسف أنّ هذا الخطاب الديني ينتج للأمة مشاكل إضافية عبر إثارته لقضايا خلافية لا ترقى لحلّ مشاكل العصر، بل تزيد من الفجوة بينه وبين فهم نوازل عصره²⁹. ولذا يمكن ردّ هذه التحديات إلى عوامل داخلية وأخرى خارجية، وتتمثل العوامل الداخلية في: ضعف الرؤى التجديدية وهشاشتها لكونها مازالت ترزح تحت وطأة التعصّب المذهبي والإيديولوجي، وهو ما عمّق أزمة الخطاب الديني لاختلاف التوجهات وتضاربها. ومن ذلك نذكر الاختلاف الحاصل إزاء تجديد الخطاب الديني، إذ نجد رؤيتين متعارضتين؛ الأولى ترى استغلال بعض الناس لقضية التجديد للعبث بأصول الإسلام حين جعلوا هذه العملية مجالاً لتجربة المناهج الفلسفية، واللغوية الحديثة، تحت مزاعم تقديم قراءة معاصرة للدين مُلائمة لمستجدات العصر، والثانية ذهبت لاعتبار محاولة التجديد محاولة للمروق من الدين يجب مقاومتها والتصدي لها³⁰.

أمّا التحديات المتعلقة بعوامل خارجية فهي تتمثل أساساً في العولمة التي فضاء لبروز الخطاب الإسلامي للعالم، إلّا أنّ هذا الخطاب ما يزال سطحياً لا يرقى لمسألة التطبيق، وهو ما يعطي المجال للتشكيك في قدرته على الثبات أمام تحديّ الحضارات والثقافات الأخرى وفي صلاحيته لتوجيه حياة الإنسان المعاصر³¹. ومن أبرز تحديات الخطاب الديني المعاصر نذكر ظاهرتي الإلحاد والتكفير؛ وهما مسألتان تجمع بينهما علاقة جدلية إذ إنّ أحدهما مفضّل للآخر؛ ولذا فإنّ التعامل معهما تحكّم الدقّة والرصانة حتى لا تصبح النتيجة نتيجتين، بمعنى على صاحب الخطاب الديني أن يكون على دراية بنتيجة التكفير وأنّ هذه النتيجة قد

تصبح نتيجتين؛ أي تكفير مفضٍ للإلحاد، والعكس صحيح، ونحن هنا سنحاول بيان هذه المسألة. فكيف يصبح التكفير سبباً للإلحاد؟ ومتى ينتهي الإلحاد بالتكفير؟

المطلب الأول: التكفير المفضي إلى الإلحاد

إنَّ من الأسباب المفضية إلى الإلحاد الغلوُّ في الدِّين والتشدد في تطبيقه على العباد حين يصبح الدِّين قيداً بيد النَّاس على النَّاس وليس عبودية لله وامتثالاً لأوامره ونواهيه، واقتناعاً بوجود الله عزَّ وجلَّ وأحقَّيته بالاتباع والعبادة.³² وهذا الفهم الخاطئ للدين والتوجه إلى التكفير يعود لأسباب منهجية وعلمية، فما أهم هذه الأسباب؟

أولاً: إنَّ الإسلام دين الوسطية والاعتدال والسماحة وعلى العبد أن يأخذ بالعروة الوثقى ليلبغ الصلاح والفلاح؛ وهي اتباع القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ لقوله ﷺ: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه"³³، ولذا فإنَّ عدم اتباع هذا المنهج يؤدي إلى فهم الدِّين على غير وجهه الصحيح والوقوع في إشكالاتٍ عظامٍ منها التكفير، وعليه فإنَّ الوقوع في هذه المشكلة عائد إلى قراءة النصوص ظاهرياً دون فهم لها ولمقاصدها ودون العودة للسنة النبوية المفسرة لهذه الآيات في غالب الأمور والمسائل، فمثلاً لا نعرف كيف نقيم الصلاة إلا بالرجوع إلى سنة ﷺ، ومثلها الزكاة والصيام والحجَّ والجهاد وأحكام كثيرة جداً لا نستطيع معرفتها أو فهمها إلا بالرجوع إلى السنة النبوية، ولذا فإنَّ هذا المنهج ذا الرؤية الضيقة نحى بمسألة التكفير إلى الغلوِّ فيه.³⁴

ثانياً: الجهل والخلط بين الكُفر الأكبر والكُفر الأصغر يعدُّ من أسباب الإفراط في التكفير والغلو فيه أيضاً، إذ إن من توفر فيه شرط من شروط الكفر لا يصير كافراً كافراً مطلقاً حتى تقوم به حقيقة الكفر، ولو أطلق الكفر على كل من دخل في آيات الوعيد وأحاديثه لكُفر غالب النَّاس واستُحلت دماؤهم، والدارس لمسألة الكفر في الكتاب والسنة يمكن أن يقف على حقيقة أنَّ لفظة الكفر لا يراد بها الإخراج من الملة في كلِّ المواضع، ومن ثمَّ فإنَّ من وقع في هذا الخلط بين الكفر المخرج من الملة والكفر غير المخرج من الملة أدى به هذا الأمر إلى التوسع والتساهل في التكفير.³⁵

ثالثاً: ظهور جماعات تكفيرية تحاول إكراه العباد على تطبيق الشريعة قسراً، وهذا الأمر مخالف لما نصَّ عليه الإسلام من حرية المعتقد، ومجادلة المخالف بالموعظة الحسنة، فالدين الإسلامي لم يكره أهل الكتاب وغيرهم من أتباع الأديان الوضعية من اتباع الإسلام وترك أديانهم "ووجود الديانات الأخرى في ظل البلاد الإسلامية إلى يومنا هذا دليل على أنَّ الإسلام لم يفرض على الآخرين اعتناقه، بل نفى أن يكون الإسلام إسلاماً بالإكراه"³⁶، فضلاً عن أن أسلوب هذه الجماعات قائم على التكفير بحجة وبغير حجة. والتركيز على الأمور الشكلية التي قد تبعد النَّاس عن الدين وهو ممَّا نفر عدداً من المسلمين من الإسلام ودفعهم إلى الإلحاد³⁷، الأمر الذي أنتج خطاباً دينياً متشدداً يؤصل لأهم مشكلات التدين في العصر الحاضر؛ وهي إشكالية الصراع بين الجوهر الروحي والخلقي الذي يمثل حقيقة الإسلام وبين القشرة الشكلية الخارجية الدالة على انتمائه لدين معين.³⁸

وكل هذه الأسباب قد تشكل هاجساً للناشئة والشباب المعاصر للهروب من الدِّين وقيوده وصورة الإسلام المشوهة في الخطاب الديني المعاصر، والإبحار في سفينته الثقلت من الدين والالتجاء إلى كهوف الإلحاد.

لهذا نلاحظ قبول كثير من الملحدين بوجود إله غير إسلامي، وهذا ما يعني أنَّ المشكلة لديهم مع الإسلام أساساً وليست مع الله، وهو ما يعني أنَّ مُشكلتهم الأساسية مع المجتمع الذي يعيشون فيه³⁹. فبحسب

إحدى الدراسات الاستثنائية "ذكر أنّ نسبة من الشباب المُتدين، وصلت إلى خمسين بالمئة في بعض المجتمعات المذكورة (منها مصر وتونس واليمن والمغرب)، وأن أهم أسباب التقلّت من فكرة التدين تتمحور حول عدم وجود حلول لمشكلات الخطاب الديني، وسيطرة الخطاب المُتشدد، وأنّ قضية التضييق على الناس في معاشهم، والتشديد في غير موضعه، لهما أثرٌ سلبي في تنفير الكثيرين من فكرة التدين أصلاً⁴⁰. وهنا عرفنا كيف أنّ الخطاب الديني إذا كان يحكمه التشدد والتسلط - في بعض الأحيان - يكون سبباً مباشراً للإلحاد. ولكن كيف يفضي هذا الأخير إلى التكفير؟

المطلب الثاني: الإلحاد المفضي إلى التكفير

جاء دين الإسلام لتخليص الإنسان من التربية الفاسدة والوسط الرديء من الشرك وعبادة الأوثان وآثاره التي تُلمّ بفؤاد الإنسان فتجعله يضلّ الطريق إلى الله وعبادته، وهذا السبيل هو سبيل الكمال والهدى والعلم، إلّا أنّنا نجد بعض الناس حادوا عن هذا الطريق واتبعوا دعوات الشيطان فأنكروا وجود الله عزّ وجلّ وهم الملاحدة، وتقوم فكرتهم أساساً على رؤية فلسفية تعتقد بعدم وجود إله لهذا الكون، وأنّ المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في الآن نفسه، وأنّ المخلوقات وجدت صدفة، ونتيجة طبيعية وأثراً من آثار الطبيعة⁴¹. وهذه الظاهرة الإلحادية قديمة، وروادها يسعون لاكتساب مشروعيتها من خلال الزعم أنّها ظاهرة عالمية قديمة قدم التاريخ، وهو خيار وجودي كالدين تماماً حسب اعتقادهم⁴².

وقد عرفت هذه الظاهرة في الغرب، ثمّ امتدت إلى العالم الإسلامي، فقد انتشر الإلحاد فيه وقويت شوكلته وبان أثره في مجتمعاتنا العربية، وعلى الرغم من أنّ ملاحدة الغرب لم يجدوا في المسيحية ما يتفق مع طبيعتهم السليمة ومع التطورات العلمية، الأمر الذي جعل الإنسان الغربي في حيرة وتخطب أمام عقائد المسيحية وسلطة الكنيسة المستبدة، فعمقت هذه النزعة التقلّت من الدين واعتناق اللادين⁴³. وعلى النقيض فإنّ الإسلام بوصفه حجّة عقلية ومعجزة خالدة "تبهر العقول وترضي العواطف، فلم يكن الإنسان يملك أمام جلال الحقّ إلّا التسليم والإذعان، بيد أنّ هناك مجموعة من العوامل جعلت من ثبات المعتقدات أمراً بالغ الصعوبة، ما حفز مجموعة من الناس قلقاً تسعى لرؤية جديدة للدين وعلاقته بالدنيا، وذلك بسبب اهتزاز المثال والتوتر الذي ساد العلاقة بين الواقع في مجتمعات المسلمين وبين المثال الذي مثله الشريعة الإسلامية⁴⁴. وإنّ نفور الشباب العربي من الدين الإسلامي عائد إلى عدم الشعور بالثقة في الخطاب الديني اليوم الذي تحكمه تجاذبات مذهبية وجور القائمين على السلطة، وبناء سلطتهم على أسس دينية، الأمر الذي دفعهم إلى الثورة على هذا الوضع المتردي الذي وصل إليه المسلمون، بعيداً عن حقيقة أنّ الدين بريء من قراءات أتباعه لنصوصه ممارساتهم له، وأنّ ما يتم إنكاره ورفضه ليس هو الله ولا الدين، وإنّما هو الوثن والصنم والقضايا الفلسفية والكلامية والعقائد وغيرها من الأمور التي حلّت محلّ الإيمان بالله⁴⁵.

بل يمكن القول: إنّ من أسباب التكفير هو ظهور مثل هذه الأفكار الإلحادية التي تشكل تحدياً من التحديات المعاصرة للخطاب الديني، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الإلحاد في البيئة الإسلامية لا يتشابه مع الإلحاد الغربي، وذلك لأنّ إلحاد بعض المنتمين للمجتمع المسلم، لا ينكر وجود الله وإنّما ينكر صورة الدين الإسلامي، ولذا قد نحى بعض هؤلاء إلى تنزيه الله عزّ وجلّ عن الأخطاء التي تُرتكب باسمه⁴⁶، وهنا علينا التساؤل عن مكمّن الخلل في الخطاب الديني اليوم؟ ولماذا يجنح الناشئة إلى الإلحاد بدل الإيمان؟

يمكن أن نجيب عن هذه الأسئلة بالقول: إنّ توجهات العصر الراهن المناهضة للدين، والانفتاح الزائف الذي يدعي أن الإلحاد ملائماً للإنسانية يشكلان معاً أحد أهم التحديات أمام الخطاب الإسلامي المعاصر؛ لأنّ هذا العصر يؤمن بالحدّثة وعولمة الدين وسيطرة العلمانية على الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية. فيعدّ التحولات التي شهدتها الغرب وبزوغ أولى معالم الحدّثة الغربية، التي كان من أهم ثمارها إقرار العلمانية

بوصفها رؤية جديدة، تمخضت في سياق تحولات كبرى انطلقت مع عصر النهضة في شكل قطيعة متدرجة مع فكر العصر الوسيط؛ فبعد أن كان الدين محور الوجود أضحي الإنسان في العصر الحديث هو المركز والسيد المطلق، الأمر الذي غاب معه الحديث عن المشيئة الإلهية بوصفها مرشداً وموجهاً للإنسان، إذ إنه مع تطور الأفكار التجريبية وانتشارها، وضعف الوجدان الديني والإيمان بما وراء الطبيعة، حلّ العقل محلّ الإيمان، صار التوجه نحو فصل الدين عن الدولة، وتغييب دوره في الحياة الاجتماعية والسياسية والتعليمية والاقتصادية في الغرب، وهو ما ألقى بظلاله على العالم العربي وأدى لانقسام الفكر الإسلامي إلى مقاربتين متصارعتين تستमित كلّ منهما في القيام على نبذ الطرف الآخر، وهما المقاربة الحداثيّة المغشوشة والمقاربة الإسلامية، فالأولى ترى أن النموذج الغربي حريٌّ بالاتباع حدّ المماهة، مع ما يستتبع ذلك من تحييد للدين عن المجال العام، والثانية ترى في العلمانيّة شرّاً مستطيراً يستهدف النيل من العقيدة، ومن ثمّ لزم الحرص على العقيدة والتمسك بالهدي الإسلامي الذي يعدّ ديناً ودولة بخلاف الدين المسيحي⁴⁷.

ولذا تنامت في هذا العصر المنفتح دعاوى الإلحاد والحرية الاعتقادية حتى صار معها الإلحاد في رأي المناهضين للدين ملاذاً إنسانياً، مع شيوع التعصّب الديني ووقوع الملاحدة العرب في تبني الشعارات الرنانة دون التعمق في الحثيات، فينبذون ما سمّاه كارل ماركس بأفيون الشعوب (الدين) ليدخلوا في ملّة "رأس المال" و"بؤس الفلاسفة" فلا يعلنون بهذا "موت الخالق" على طريقة نيتشة، إنّما يبرهنون على تبعيتهم للضلال بوصفه موضة عصرية لا أكثر، وما سياسة القمع التي اتبعها أتاتورك وشاه إيران سوى دليل على هذا التحرر المفخخ بالأقفال وقضبان التطرف الانفتاحي⁴⁸.

كما أنّ الإلحاد ينشأ أحياناً نتيجة إيمان الفرد بالعلم فحسب، وحين يجد الفرد الخطاب الديني غير مرتبط بالعلم، فإنّه يكفر به، وإن كان علينا إرشاد المُلحد إلى الطريق الصحيح، فالواجب علينا أن نعيد له ثقته في الدين ببيان التوافق بينه وبين العلم، وهذه المهمة هي مهمة علماء الدين الذين يجب أن يكونوا محيطين بحاجات عصرهم ومجيبين عن تساؤلات أفرادهم وهواجس مجتمعاتهم؛ ليكون بذلك التوافق بين مقاصد الدين وقراءاته المعاصرة⁴⁹.

ومن دورهم كذلك تبيان أنّ لكل فرد تجربته وقراءته الخاصة للدين بعيداً عن الغلو والتفريط. ولذا قد تكون مُشكلة الخطاب الديني اليوم هي الخلل الحاصل في معادلة الدعوة والعمل الإسلامي، والظن أنّ الإبقاء على الوسائل القديمة في الدعوة وإيصال المفاهيم هو المنهج الأمثل، والتوهم بأن الوسائل من الثوابت والمقدسات التي لا يجوز تطويرها أو حتى مراجعتها ودراسة جدواها، في حين لو نظرنا في أساليب الدعوة في زمن النبي ﷺ والقرون الماضية نجدّها قد تجددت بتجدد الأحداث والثقافات والأفكار نتيجة الاطلاع على ثقافات الآخرين. فجمع المصحف وتدوين السنة وتأليف الكتب في الحديث والمختصرات في الفقه والأصول والمنظومات المتعددة التخصصات كل ذلك من أساليب تجديد الخطاب بما يناسب العصر دون الخروج عن الأصول ودون تغيير للثوابت الحقيقية⁵⁰.

ولذا يمكن أنّ نتساءل عن كيفية تجديد الخطاب الديني اليوم ليستجيب لتحدياته؟ وما سبل علاج ظاهرتي التكفير والإلحاد؟

المبحث الثالث: سبل علاج ظاهرتي التكفير والإلحاد

المطلب الأول: تجديد الخطاب الديني

إنّ الأزمة التي يشهدها العالم العربي في جميع مجالاته قد ألقت بظلالها على نوعيّة الخطاب الديني وأسلوبه، ومدى قدرته على الاستجابة للتحديات الراهنة الفكرية والعلمية والاجتماعية وغيرها من مشكلات العصر التي يجب عليه الإلمام بها ومواجهتها، وعليه وجب مراجعة واقع الخطاب الديني لفهم مواطن فشله،

والقدرة على تدارك زلاته، ولذا فإننا اليوم في حاجة ماسة "للقيام بمراجعة للخطاب الديني في الدعوة والإعلام، خاصة في هذه المرحلة بالذات، حيث السقوط الحضاري للمقولات العالمية التي كادت تُشكل أمل الفقراء"⁵¹، ولذا فإنَّ أوَّل سبيلٍ لعلاج ظاهرتي الإلحاد والتكفير يكمن في تجديد* الخطاب الديني. ومن الأسباب الأخرى التي تجعله ضرورةً ملحةً هو: اختفاء بعض معالم الدين في عقول كثير من الناس وفي سلوكهم، واختلال فهم مراتب الأعمال الشرعية في الخطاب الإسلامي لدى كثير من المعاصرين، وجدة النوازل والحوادث التي تحتاج إلى حلٍّ ومعالجة⁵²، ولا يمكن تحقيق هذه النهضة، دون الانطلاق من تراثنا العربي الإسلامي، من خلال: "قراءته بأدوات جديدة، وب عقلية معاصرة، تنطلق من تصورات بنىوية داخلية، واستقراء لحيثيات الموروث مرجعياً وتاريخياً، قصد استقراء أبعاده الإيديولوجية لمحاربة التخلف، ومواجهة الطغيان الاستعماري...، بشرط أن تكون قراءتنا موضوعية قائمة على الاستمرارية والتأويل المعقلن، في ضوء تصورات معاصرة متجددة"⁵³.

ولعلَّ أوَّل خطوة لتجديد هذا الخطاب هو فضح بنية الاستبداد في الخطاب السلطوي الدوغمائي التي تحكم مجتمعاتنا الإسلامية منذ قرون طويلة، ولذا فإنَّ أي مشروع تجديدي تنويري محكوم بالفشل ما لم يفضح بنية الاستبداد ويفككها، ولا بد أن يكون (فضح بنية الاستبداد) من داخل ثقافتنا نحن وليس من خارجها، حتى نتجنب مخاطر الحداثة الغربية المتمثلة في مُخرجات النظام الرأسمالي، وحتى نكون قادرين على تقديم نموذج حضاري قادر على التعبير عن مجتمعاتنا ومتطلباتها وتطلعاتها، فالشعوب لا تستعيد في وعيها إلا بتراتها، أو ما يتصل به، أمّا الجانب الإنساني العام في التراث البشري كله فهي تعيشه داخل تراثه لا خارجه⁵⁴.

وحال الخلو من هذا القيد المرتبط بفاعلية الخطاب الديني في التصدي لمشكلات عصره، يجب أن يكون رواد الخطاب الديني ممّن يتحلون بفقّه الموازنات؛ بمعنى القدرة على الموازنة بين المصالح بعضها مع بعض من جهة أو المفسد بعضها مع بعض من جهة ثانية، أو الموازنة بين المصالح والمفسد من جهة ثالثة وتقديم الراجح منها وفق ضوابط محددة مستمدة من الشريعة الإسلامية، ثمَّ عليه أن يكون عارفاً بفقّه الأولويات من خلال قدرته على وضع الأحكام والقضايا في مراتبها الشرعية دون تقديم أو تأخير، وفقّه الموازنات مرتبط بفقّه الأولويات⁵⁵، إذ غالباً ما تنتهي الموازنة إلى أولوية معينة، فهنا تدخل في فقّه الأولويات. ومثال ذلك في السّنة النبوية أنّ الرسول ﷺ في الفترة المكيّة ركّز على الدعوة إلى عقيدة التوحيد وإخلاص العبادة لله، ونبذ عبادة غيره من الأصنام والأوثان، أو شغل المسلم بالأحكام والمسائل الجزئية، وهذا لتربية الجيل المؤمن الذي يحمل هذه الدعوة بعد ذلك إلى العرب، ثمَّ يشيع هذه التربية إلى العالم كله⁵⁶، بمعنى اختيار الزمان والمكان المناسبين لما لهما من أثر واضح في توجيه الخطاب الديني*، وأيّ تقصير في مراعاة هذين البعدين يؤثر بصورة مباشرة في نوعية الخطاب ومصادقيته ونتائجه على المتلقي، ولذا على المُخاطب أن يكون له في رسول الله ﷺ أسوةً حسنةً عندما غيّر خطابه ليتناسب مع زمانه وطبيعة مكانه في كلّ من المرحلتين المكيّة والمدنيّة⁵⁷. إذ إنّ المُخاطب مُطالب بمواكبة تغيرات واقعه حتى تقبل دعوته وتستمر، وهذا لا يعني بالضرورة الخروج عن ثوابت الدين، بل إنّ من أولويات تأسيس الخطاب الديني وتجديده الحفاظ على الثوابت والأصول التي يقوم عليها⁵⁸. كما أنّ من آليات تجديده استخدام لغة توائم واقع المُخاطبين ولا تكون ناشزة عن أدواقهم ومشكلة لعقولهم، ذلك أنّ اللغة تعدُّ مفتاحاً للعقول والقلوب وتبليغ مقاصد الدين الإسلامي وتعاليمه بكلّ سلاسة للناشئة والشباب⁵⁹. وذلك مراعاةً لحال المدعوين ومشاكلهم واستفساراتهم⁶⁰، كما أنّ على الخطاب الديني أن يخاطب آمالهم فلا يترك لهم مجالاً للشكّ والحيرة واختيار طريق الانحراف، بدلاً عن طريق الاستقامة والحقّ. وهذا المشكل يجب أن يدفع الخطاب الديني إلى وضع خطة لمواجهة موجتي الإلحاد والتكفير مع ضبط منهجية دقيقة لمعالجة المسألتين.

المطلب الثاني: وضع خطة مواجهة وضوابط منهجية لمعالجة الظاهرتين

إنَّ سُبُل معالجة الخطاب الديني لنوازل عصره -كما أشرنا سابقاً- شكّلت مأزقاً وتحدياً وجودياً وفكرياً راهناً، يستوجب على علماء الدين وضع خطة لمواجهة ظاهرتي التكفير والإلحاد وضبط منهجية تتوافق وأصوله الشرعية وتنطلق منها حتى لا يزيد الاجتهاد الديني (الخاطئ أو الناقص أو المناقض للواقع) تحديات جديدة على عاتقه. فكيف يمكن للخطاب الديني أن يواجه تحدياته؟

يمكن القول: إنَّ على الخطاب الديني أن يكتف جهوده للإحاطة بكلّ ظاهرة جديدة تشكل خطراً على المجتمع المسلم، ويتسلح بالعلم، والنظرة الاستباقية للنوازل وتقدير خطورتها وآثارها والعمل على إرهاباتها من خلال الدعوة إلى الاستقامة وتنوير العقل والقلب بمعرفة الحقّ والباطل، فسلح التكفير هو إسقاط الأحكام دون التثبت من خلوّ ذمّة المُكفّر من موانع التكفير، وهذا يدل على نقص علم المجتهد، وقصور نظريته للأمور، أمّا المُلحد فهو عاجز عن اتباع طريق الحقّ لأنّه تائه ولم يجد من يجيب على كلّ تساؤلاته وبات قلبه مغلقاً عن التصديق بالله والإيمان بوجوده، وعليه يجب أن يكون الخطاب الديني مخاطباً للفطرة السليمة مع اللجوء إلى نور العقل وفكره، "وذلك بالاستفادة من القوة العقلية الاستدلالية لتقوية الفطرة الموجودة في داخله وظهورها، فإنّ مخالفة المُلحد لفطرة الله عزّ وجلّ كانت لا محالة من عدم استخدامهم لعقولهم التي توصلهم إلى الإيمان بوجود الله تعالى، فالعقل والفطرة في توافق تام، فلا العقل يُخالف الفطرة، ولا الفطرة تُنافي العقل"⁶¹، ويعضد هذا المنهج التسليح بالعلم والمعرفة؛ لكونه يمثل أهم الطرق لمواجهة الإلحاد والحدّ من خطر التكفير وتقليصهما، فنور المعرفة يحصن المخاطب والمخاطبين من الانحراف ويضمن سلاسة وصول الخطاب الديني إلى غايته في الإفهام والتوعية والتوجيه والإقناع بالحقيقة⁶².

ولذا يمكن القول إنَّ من سبل علاج هذه الظواهر العمل على تثقيف الناشئة وتوعيتهم، وتأصيلهم معرفياً، وهذه المسؤولية مشتركة بين المدرسة الصغيرة (الأسرة) والمدرسة الكبيرة (المجتمع والحياة)⁶³، فهذه المهمة ليست مهمة فرد واحد بل كلّ مكونات المجتمع المدني لها دور في تعزيز قيمة الإيمان بالله وتخريج ناشئة موحدة ومحصنة من وساوس الشيطان والتطرف الديني، وهذا يتم من خلال مجموعة من الأسس منها: العكوف على تعلم كتاب الله وسنة رسوله تلاوةً وتدبراً، وتذوق طعم الإيمان، وترسيخ عقيدة صحيحة في النفوس، وتأسيس أصل التوحيد في قلب الأطفال الصغار واستشعار رقابة الله عزّ وجلّ ومعنيته، هذا الأمر يؤهل الناشئة لمعرفة الشبهات والقدرة على تجاوزها دون التعلق في شباكه، وعلى الأسرة أن تدعم أطفالها وتولي لتساؤلاتهم أهميةً وتساعدهم في تأسيس شخصيّة سوية غير مضطربة، مقبلة على الحياة وقادرة على التفاعل مع الواقع بكلّ إيجابية وعطاء، وصامدة أمام كلّ الشبهات والإغراءات المعاصرة⁶⁴.

وعلى هذا الأساس فإنّ كلّ شخص من منبره يساهم في الحدّ من الانحرافات العقدية والفكرية والمنهجية والمحافظة على سبيل الاستقامة، ولمؤسسات الإعلام عامة دور في هذه المهمة أيضاً من خلال ربط الناس بالعلماء الأجلاء المعتبرين القادرين على حلّ هذه المسائل ومناقشة شبهات أصحابها⁶⁵. وذلك باعتماد منهج الحوار بوصفه مسلكاً حضارياً مؤصلاً في المرجعية الإسلامية العليا من شأن اعتماده أن يُحاصر هذه الظواهر ويقلل منها إلى أبعد الحدود. فهذا المنهج يستمد أصالته ومشروعيته من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ ساق خطابه مساق جدلٍ وحجاج ولم يقدمه عارياً من البراهين والأدلة مُراعاةً وتقديراً للمخاطب المخالف، ومن مقتضيات هذا الحوار ومستلزمات نجاحه الإحاطة بالطبيعة النفسية المتشعبة للمخالف التكفيري والإلحادي⁶⁶.

ومقتضى ذلك أن نفتح قنوات الحوار معهم، وإدارة الحوار بالحسنى لأنّ الإلحاد أمر فكري، والفكر لا يواجه إلاّ بفكر تصحيحي، وعلينا البيان والجدد وليس الهدى، مع ضرورة مراعاة الرسوخ العلمي والخطاب

العقلي الذي يناقش تفاصيل القضايا العقديّة والفكريّة القديمة والمعاصرة ويكون قادراً على الإقناع والحجاج⁶⁷، وأخيراً وليس آخراً على رواد الخطاب الديني التركيز على وسطيّة الإسلام في خطابهم الديني، وتنقيح الفكر الديني ممّا شابه من إفراط أدى إلى التشدد، أو تفريط أدى إلى الانحلال والانحراف عن الطريق القويم للإيمان والتوحيد⁶⁸. وعليه فإنّ هذه الظواهر المستجدة في مجتمعاتنا العربيّة سواء أكانت من تأثير العولمة الغربيّة أو من خلال القراءات الضيقة والمتعصّبة للدين، فإنّ سبيل مواجهتها يكون من خلال وضع استراتيجية وقائيّة تراهن على تنشئة الأفراد تنشئة صحيحة، أساسها فهم كتاب الله وسنّة رسوله على الوجه الصحيح القائم على الوسطيّة وعالميّة الخطاب وديمومته، ثم وضع خطة ثنائية لمواجهة هذا الزحف المادي المتطرف على الدين والمعتقدات الإسلامية. ويمكن أن يعالج الخطاب الإسلامي هاتين الظاهرتين حين يتجه لبناء حضارة إبداعية تنهض بدورة جديدة تقود الإنسانية أخلاقياً، ولا يكون ذلك دون حضارة إسلامية مستقبلية قائمة على ثلاثية: العلم والعمل والأخلاق.

خاتمة:

النتائج: خلصت الدراسة إلى نتائج يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- الخطاب الديني من المصطلحات المعاصرة التي يستدل بها على ضرب من القراءات الدينيّة أو الأفكار المتصلة بفهم المصادر الدينيّة الموجهة لعامة الناس خدمةً للدين أو تنويراً للرأي العام من باب فقه الواقع والاستجابة لنوازل العصر التي تتطلب إجابات الدين عليها.
- يشهد الخطاب الديني واقعاً شائكاً مليئاً بالتحديات والصعوبات التي توجب عليه مواكبتها في الاستقراء والخطاب والعلاج، ومن أبرز تحدياته المعاصرة تقديم قراءة لظاهرتي الإلحاد والتكفير، وبحث خطة وقائيّة وعلاجيّة لحلّ هاتين المسألتين في ظل واقع متصّحّر دينياً يعرّض الأفراد لمثل هذه الفتن، ويستقطبهم من دائرة الاستقامة والإيمان إلى دائرة الانحراف واللاإيمان.
- إنّ ظاهرتي الإلحاد والتكفير يشكلان مأزقاً عقدياً ودينياً حساساً، لما لهاتين الظاهرتين من علاقة جدليّة مزدوجة قد تجعل جهود الخطاب الديني تتضاعف في التعامل معهما؛ وذلك لأن كلّ ظاهرة منهما قد تفضي للأخرى، فعدم معالجة ظاهرة التكفير على الوجه الصحيح قد ينتهي بنا إلى خطر الإلحاد، وهذا قد يقضي بتكفير أصحابه، ولذا على الخطاب الديني أن يراعي هذه الخصوصية في تناول هاتين المسألتين، ويعمل على معالجة كل ظاهرة منهما على حدة، ويستبق لها بخطة وقائيّة تهدف إلى تعزيز إيمان الأفراد وتحصينهم من الانحراف والتطرف.
- ظاهرتا التكفير والإلحاد هما إحدى أبرز التحديات المعاصرة التي يواجهها الخطاب الديني؛ وذلك لطبيعتهما المركبة والمعقدة؛ فلا يتأتى علاجهما إلّا بعد فهمهما واستيعابهما من خلال دراستهما وتحليلهما تحليلاً يراعي الحالة النفسيّة والاجتماعية للأفراد، فالإصلاح أو المعالجة يجب أن يكون شاملاً وملماً بحيثيات الظاهرة وحالة أصحابها، ويجب أن تتكاتف جميع الجهود لتسهّل للخطاب الديني عمليّة مواجهة هذه المخاطر وهذه التحديات.
- إنّ أوّل خطوة لمعالجة مثل هذه المسائل هي تجديد الخطاب الديني بصفة دائمة، وهي خطوة جدّ ضروريّة في عصرنا الراهن، لما للفكر الديني اليوم من إشكاليات مستجدة تهدد الثوابت الدينيّة والقيميّة في المجتمعات العربيّة، بما يحتمّ على الخطاب الديني أن يكون مستعداً لتناولها ومعالجتها بآليات وأساليب من وحي العصر والواقع.

- الخطاب الديني المعتدل والمؤثر هو الذي يواجه تحديات عصره بكفاءة ويكون أداة فعالة للقضاء على الأمراض الفكرية مثل التطرف والتعصب والأدلجة والانحلال وغيرها من الآفات المستجدة، التي تحتاج خطاباً استباقياً متزناً يكون جزءاً من الحل وليس جزءاً من المشكلة.

التوصيات:

- أن تكون عملية تجديد الخطاب الديني دورية تتجاوز وروح العصر، يقودها المختصون والراسخون في العلم ممن يتسمون بالاعتدال والوسطية.
- وضع البرامج الجادة الكفيلة بتربية الناشئة وتأسيسهم وإعدادهم وتحسينهم دينياً ومعرفياً من الوقوع في مخاطر التغريب والمادية والعلمانية، ليكونوا خلفاً يمكن الاعتماد عليه في حماية معالم ديننا الحنيف، وحمل مشعل تطوير الأمة وبنائها على الثوابت والقيم الإسلامية.
- تعاون مؤسسات المجتمع الإسلامي الرسمية والشعبية في إنشاء خطاب ديني واعٍ بقضايا عصره، فاعل على مستوى معالجتها، يحترم أصالته وثوابته الدينية والأخلاقية.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية

- 1- الأصفهاني (الراغب)، مفردات القرآن، تح: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط4، 2005م.
- 2- الجابري (محمد عابد)، التراث ومشكل المنهج (المنهجية في الآداب والعلوم الإنسانية)، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986م.
- 3- الجليل (أبو المجد)، عبد العالي (حارث)، تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2011م.
- 4- حسنة (عمر عبيد)، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1419 هـ - 1998م.
- 5- الخطيب (محمد بن عبد ربه)، ظاهرة التكفير وعلاجها، إشراف: عادل بن عبد العزيز آل موسى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1436هـ.
- 6- الرازي (ابن فارس)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1399 هـ - 1979م.
- 7- الرحيلي (محمد بن عامر)، التكفير وضوابطه، دار الإمام أحمد، ط2، د ت.
- 8- السبكي (تقي الدين)، فتاوي السبكي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
- 9- السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء)، فكر التكفير قديماً وحديثاً، دار الإمام أحمد، ط1، 1426 هـ - 2005م.
- 10- السقار (منقذ)، التكفير وضوابطه، رابطة العالم الإسلامي، د ط، د ت.
- 11- الشمري (بان خليل)، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها، دار روافد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1439 هـ - 2017م.
- 12- صليبيبا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.
- 13- العرعور (عدنان)، منهج الاعتدال، دار التابعين، الرياض، 2002م.
- 14- الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1998م.
- 15- محفوظ (عصام)، حوار مع الملحد في التراث، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004م.
- 16- ابن منظور (محمد)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، د ط.
- 17- وهبة (مراد)، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5، 2007م.
- 18- يونس (محمد)، الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات، 2004م.

الكتب الأجنبية

- 19- Hancock (Ralph), The Legacy of the French Revolution, Rowman and Littlefield Publishers, Lanham, United States, 1996.

20- Michael Martin, "Should atheists be agnostics?", in Baggini, Julian, editor, *The Philosophers' Magazine*, 2002.

المجلات والدوريات

- 21- الأشول (عزيزة علي)، تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، المجلد 42، يونيو 2022م.
- 22- زياني(مرازقة)، قراءة الخطاب الديني: نقد الفكر الديني للجابري أنموذجاً، مجلة الخطاب والتواصل، العدد الثالث، أبريل 2017م.
- 23- زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 04، العدد 01، جوان 2020، جامعة الشهيد حمة الخضر بولاية الوادي، تاريخ النشر: 2020/07/03م
- 24- الشريف (حبيلة)، الخطاب الديني وإشكالية المفهوم، مجله الآداب واللغات، جامعه العربي التبسي، تبسه الجزائر، العدد الأول، جوان 2015م.
- 25- عزابي (سمية)، تحديات الخطاب الديني، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد 01، 2019م.
- 26- رحمة (عبد الله علي)، الخطاب الديني: التحديات والأولويات، مجلة رسالة القلم، العدد 60، 2019/5/14، <https://ralqalam.com>
- 27- رفيع (محمد بن محمد)، مداخل لعلاج ظاهرة التكفير، مجلة الصراط، السنة 15، العدد السابع والعشرون، شعبان 1434هـ-يوليو 2013م.
- 28- رمضان (محمد توفيق)، ظاهرة التكفير وأخطارها، دراسة شرعية تاريخية تحليلية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 10، العدد 1، السنة 2021م.
- 29- المحمد (أحمد الخضر)، قراءة في أنواع الإلحاد، مجلة رواء، العدد الخامس عشر، 25 يونيو 2022م، <https://rawaamagazine.com>
- 30- منصور (رقية شاكور)، شاكور (هبة صفاء)، مفهوم الخطاب الديني وأثره في تحقيق التعايش السلمي، مجلة الدراسات المستدامة، السنة الرابعة، المجلد 4، العدد الأول (ملحق 1)، 1443هـ-2022م.
- 31- الموسوي (السيد ياسين السيد قاسم)، تأثير الزمان والمكان في عملية الاستنباط، مجلة رسالة القلم، العدد 7، 2021/11/01م، <https://ralqalam.com>
- المواقع الإلكترونية
- 32- التلاوي (أحمد)، التكفير والإلحاد والتراجع الأخلاقي... مخاطر عزلة الفقيه عن الواقع، بصائر الفكر، 25 يوليو 2020، <https://basaer-online.com>
- 33- الجزار (سهام)، لهذه الأسباب يلحد الشباب، تشدد الخطاب الديني أدى إلى انتشار التطرف أو الإلحاد، التنوير، مقال منشور بتاريخ، 15 يناير، 2015م، <https://altanwer.com>
- 34- الشهري (خالد بن محمد)، الإلحاد: تعريفه وأشكاله ونشأته، شبكة الألوكة، 201/1/14م-1439/4/27هـ، (www.alukah.net)
- 35- صالح (أحمد عطية)، "الأوقاف" تعلن الحرب على الإلحاد وتضع خارطة طريق لسبل مواجهته، بوابة أخبار اليوم، الجمعة 20 يناير 2023م، الساعة 11:28، <https://akhbarelyom.com>
- 36- علمي (خالد)، إطلالات على ظاهرة الإلحاد في العالم العربي، هسبريس، مقال منشور بتاريخ: الأحد 13 يونيو 2021م، الساعة 23:11، <https://www.hespress.com>
- 37- علي (زفيدة)، الإلحاد الفجوة ما بين الدين والعلم، مدونة في موقع الجزيرة، بتاريخ 2017/08/22، <https://www.aljazeera.net>
- 38- علي (محمد)، دار الافتاء: 3 أسباب وراء تزايد ظاهرة الإلحاد بين الشباب، موقع مصرأوي، مقال منشور بتاريخ: الأربعاء 10 ديسمبر 2014م، الساعة 08:12، <https://www.masrawy.com>
- 39- الغديميني (محمد بن عبد الستار)، الإلحاد أسبابه، ومخاطره، وسبل مواجهته، ملتقى أهل التفسير، 30 رجب 1441هـ- 2020/03/24م، الساعة 04:41، <https://mtafsir.net>

40- نصار(جمال)، رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الديني، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بعنوان: "التنوير في الفكر الإسلامي: ضروراته وآفاقه"، 23-24 أبريل 2012م.

41- الخطاب الديني في ظل التحديات المعاصرة، المنتدى العالمي للوسطية، مقال منشور بتاريخ: 17 أبريل 2017، <https://www.wasatyea.net>

الهوامش:

¹ - الرازي (ابن فارس)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د ط، 1399هـ-1979م، 2/198، وابن منظور(محمد)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، د ط، 1/361.

² - زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 04، العدد 01، جوان 2020، جامعة الشهيد حمّة الخضر بولاية الوادي، تاريخ النشر: 2020/07/03، ص 503.

³ - يونس (محمد)، الخطاب الإسلامي في الصحافة العربية، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات، 2004م، ص 30

⁴ - الشريف (حبيله)، الخطاب الديني وإشكالية المفهوم، مجله الآداب واللغات، جامعه العربي التبسي، تبسه، الجزائر، العدد الأول، جوان 2015م، ص 81.

⁵ - زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، م. س، ص 502، الشريف (حبيله)، الخطاب الديني وإشكالية المفهوم، م. س، ص 78.

⁶ - منصور (رقية شاكِر)، شاكِر (هبة صفاء)، مفهوم الخطاب الديني وأثره في تحقيق التعايش السلمي، مجلة الدراسات المستدامة، السنة الرابعة، المجلد 4، العدد الأول (ملحق 1)، 1443هـ-2022م، ص 188-190.

⁷ - الجليل (أبو المجد)، عبد العالي (حارث)، تجديد الخطاب الإسلامي وتحديات الحداثة، أفريقيا الشرق، المغرب، د ط، 2011م، ص 21.

⁸ - العرعور (عدنان)، منهج الاعتدال، دار التابعين، الرياض، 2002م، ص 10-11.

⁹ - ابن منظور (محمد)، لسان العرب، م. س، 3/388-389، الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 5، 1998م، ص 317.

¹⁰ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: 180]، وقوله جلّ من قائل: ﴿وَمَنْ يَرْذُ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذِفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: 25]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: 40].

¹¹ - صليبيّا (جميل)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، د ط، 1982م، 1/120

¹² - الشهري (خالد بن محمد)، الإلحاد: تعريفه وأشكاله ونشأته، شبكة الألوكة، 14/1/201م-27/4/1439هـ، www.alukah.net، راجع: وهبة (مراد)، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 5، 2007م، ص 83.

¹³ - Michael Martin, "Should atheists be agnostics?", in Baggini, Julian, editor, *The Philosophers' Magazine* 2002, p18.

¹⁴ - سندي (صالح بن عبد العزيز عثمان)، الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته، دار اللؤلؤة، لبنان، بيروت، ط 1، 1424هـ-2012م، ص 14-16.

¹⁵ - Hancock (Ralph), *The Legacy of the French Revolution*, Rowman and Littlefield Publishers, Lanham, United States, 1996, P22.

¹⁶ - سندي (صالح بن عبد العزيز عثمان)، الإلحاد وسائله، وخطره، وسبل مواجهته، م. س، ص 12.

* الشيوعية: هي مذهب فكري يقوم على الإلحاد وإنكار الخالق، ويعتبر المادة أساس كل شيء، تحارب الدين للقضاء عليه ولو بالقوة.

¹⁷ - المحمد (أحمد الخضر)، قراءة في أنواع الإلحاد، مجلة رواء، العدد الخامس عشر، 25 يونيو 2022م، <https://rawaamagazine.com>

¹⁸ - ابن منظور(محمد)، لسان العرب، م. س، 5/145-147، انظر كذلك: الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، القاموس المحيط، م س، 1/5.

¹⁹ - الأصفهاني (الراغب)، مفردات القرآن، تح: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط 4، 2005م، ص 434

²⁰ - السبكي (تقي الدين)، فتاوي السبكي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، د ط، د ت، 2/586

- 21- العرعور (عدنان)، منهج الاعتدال، م. س، ص 121-122، كذلك: الرحيلي (محمد بن عامر)، التكفير وضوابطه، دار الإمام أحمد، ط2، ص 95.
- 22- السقار (منقذ)، التكفير وضوابطه، رابطة العالم الإسلامي، ط2، د ت، ص 11.
- * هو تنزيل الحكم على شخص معين كأن يقال كفر فلان ويسمى.
- 23- الخطيب (محمد بن عبد ربه)، ظاهرة التكفير وعلاجها، إشراف: عادل بن عبد العزيز آل موسى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1436 هـ، ص 9.
- 24- رواه البخاري، حديث صحيح، رقم 6047.
- 25- السقار (منقذ)، التكفير وضوابطه، رابطة العالم الإسلامي، م. س، ص 21.
- 26- المصدر نفسه، ص 27، انظر كذلك: الرحيلي (محمد بن عامر)، التكفير وضوابطه، م. س، ص 220، رفيع (محمد بن محمد)، مداخل لعلاج ظاهرة التكفير، مجلة الصراط، السنة 15، العدد السابع والعشرون، شعبان 1434 هـ-يوليو 2013 م، ص 11.
- 27- الرحيلي (محمد بن عامر)، التكفير وضوابطه، م. س، ص 221.
- 28- السحيمي (عبد السلام بن سالم بن رجاء)، فكر التكفير قديماً وحديثاً، دار الإمام أحمد، ط1، 1426 هـ-2005 م، ص 30.
- 29- رحمة (عبد الله علي)، الخطاب الديني: التحديات والأولويات، مجلة رسالة القلم، العدد 60، 2019/5/14، <https://ralqalam.com>
- 30- منير (ماجد)، الخطاب الديني المعاصر يواجه مجموعة من التحديات الداخلية والخارجية، صدى البلد، 10 سبتمبر 2023، <https://elbalad.news>
- 31- رحمة (عبد الله علي)، الخطاب الديني: التحديات والأولويات، مجلة رسالة القلم، العدد 60، 2019/5/14، <https://ralqalam.com>
- 32- الجزار (سهام)، لهذه الأسباب يلحد الشباب، تشدد الخطاب الديني أدى إلى انتشار التطرف أو الإلحاد، التنوير، مقال منشور بتاريخ، 15 يناير، 2015 م، <https://altanwer.com/>
- 33- أخرجه أحمد (130/4، 17213)، وأبو داود (200/4، 4604)، وصححه الإمام الألباني في صحيح الجامع (2643)
- 34- الخطيب (محمد بن عبد ربه)، ظاهرة التكفير وعلاجها، م. س، ص 16-17
- 35- المصدر نفسه، ص 18.
- 36- رمضان (محمد توفيق)، ظاهرة التكفير وأخطارها دراسة شرعية تاريخية تحليلية، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، المجلد 10، العدد 1، السنة 2021 م، ص 65-66.
- 37- المصدر نفسه، ص 66، انظر: الشمري (بان خليل)، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها، دار روافد للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط1، 1439 هـ-2017 م، ص 88.
- 38- علي (محمد)، دار الإفتاء: 3 أسباب وراء تزايد ظاهرة الإلحاد بين الشباب، موقع مصرأوي، مقال منشور بتاريخ: الأربعاء 10 ديسمبر 2014 م، الساعة 08:12، <https://www.masrawy.com>
- 39- علمي (خالد)، إطلاقات على ظاهرة الإلحاد في العالم العربي، هسبريس، مقال منشور بتاريخ: الأحد 13 يونيو 2021 م، الساعة 23:11، <https://www.hespress.com>
- 40- التلاوي (أحمد)، التكفير والإلحاد والتراجع الأخلاقي... مخاطر عزلة الفقيه عن الواقع، بصائر الفكر، 25 يوليو 2020، <https://basaer-online.com>
- 41- الشمري (بان خليل)، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها، م. س، ص 10.
- 42- الأشول (عزيزة علي)، تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية، المجلد 42، يونيو 2022 م، ص 177 و187.
- 43- انظر: الشمري (بان خليل)، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية أسبابها وعلاجها، م. س، ص 10-11.
- 44- الأشول (عزيزة علي)، تطور الفكر الإلحادي (دراسة تحليلية)، م. س، ص 207-208.
- 45- المصدر نفسه، ص 208، انظر أيضاً: علمي (خالد)، إطلاقات على ظاهرة الإلحاد في العالم العربي، هسبريس، مقال منشور بتاريخ: الأحد 13 يونيو 2021 م، الساعة 23:11، <https://www.hespress.com>
- 46- محفوظ (عصام)، حوار مع الفلحدين في التراث، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2004 م، ص 18.
- 47- انظر: كونان (عادل)، الإسلام هو الحل، العلمانية هي الحل، متى ينتهي الجد، الجزيرة، 2017/11/21، <https://www.aljazeera.net>

- 48- أبو بكر (لينا)، يحيا الباطل بين الشحور والجنرال ويتأدب الإلحاد بين الخليفتين طوني ومارسيل، القدس العربي، 27 أبريل 2016، <https://www.mindstory.org>
- 49- علي (رُفيدة)، الإلحاد الفجوة ما بين الدين والعلم، مدونة في موقع الجزيرة، بتاريخ 2017/08/22، <https://www.aljazeera.net>
- 50- الخطاب الديني في ظل التحديات المعاصرة، المنتدى العالمي للوسطية، مقال منشور بتاريخ: 17 أبريل 2017، <https://www.wasatyea.net>
- 51- حسنة (عمر عبيد)، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1419هـ-1998م، ص47.
- * التجديد هو عصرنة الخطاب الديني وإضفاء روح جديدة عليه دون المساس بأصوله وأسس بل من خلال مقارنته مع الواقع وحيثياته الجديدة والمتغيرة. (زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، م. س، ص 518).
- 52- نصار (جمال)، رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الديني، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم بعنوان: "التنوير في الفكر الإسلامي: ضروراته وآفاقه"، 23-24 أبريل 2012، ص 6.
- 53- الجابري (محمد عابد)، التراث ومشكل المنهج (المنهجية في الآداب والعلوم الإنسانية)، دار توبقال، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1986م، ص 83-84.
- 54- زباني (مراقة)، قراءة الخطاب الديني: نقد الفكر الديني للجابري أنموذجاً، مجلة الخطاب والتواصل، العدد الثالث، أبريل 2017م، ص 179.
- 55- نصار (جمال)، رؤية معاصرة في تجديد الخطاب الديني، م. س، ص 15.
- 56- المصدر نفسه، ص 16.
- * للزمان والمكان تأثير في ثلاثة جوانب في الخطاب الديني وهي: تأثيرهما في الأحكام الشرعية وفي موضوعات الأحكام وفي فهم النصوص الدينية (انظر وراجع: الموسوي (السيد ياسين السيد قاسم)، تأثير الزمان والمكان في عملية الاستنباط، مجلة رسالة القلم، العدد 7، 2021/11/01م، <https://ralqalam.com>).
- 57- الخطاب الديني في ظل التحديات المعاصرة، المنتدى العالمي للوسطية، مقال منشور بتاريخ: 17 أبريل 2017، <https://www.wasatyea.net>
- 58- زيد مليكة، مفهوم الخطاب الديني المعاصر وضوابطه، م. س، ص 514.
- 59- الخطاب الديني في ظل التحديات المعاصرة، المنتدى العالمي للوسطية، مقال منشور بتاريخ: 17 أبريل 2017، <https://www.wasatyea.net>
- 60- عزابي (سمية)، تحديات الخطاب الديني، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد 01، 2019، ص 94.
- 61- الشمري (بان خليل)، ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، م. س، ص 131-132.
- 62- المصدر نفسه، ص 136.
- 63- رفيع (محمد بن محمد)، مداخل لعلاج ظاهرة التكفير، م. س، ص 22.
- 64- الغديميني (محمد بن عبد الستار)، الإلحاد، أسبابه، ومخاطره، وسبل مواجهته، ملتقى أهل التفسير، 30 رجب 1441هـ- 2020/03/24م، الساعة 04:41، <https://mtafsisir.net>
- 65- الخطيب (محمد بن عبد ربه)، (أسباب ظاهرة التكفير وعلاجها)، م. س، ص 23-27.
- 66- رفيع (محمد بن محمد)، مداخل لعلاج ظاهرة التكفير، م. س، ص 19-20.
- 67- الغديميني (محمد بن عبد الستار)، الإلحاد أسبابه، ومخاطره، وسبل مواجهته، ملتقى أهل التفسير، 30 رجب 1441هـ- 2020/03/24م، الساعة 04:41، <https://mtafsisir.net>
- 68- صالح (أحمد عطية)، "الأوقاف" تعلن الحرب على الإلحاد وتضع خارطة طريق لسبل مواجهته، بوابة أخبار اليوم، الجمعة 20 يناير 2023م، الساعة 11:28، <https://akhbarelyom.com>